

فموضوعة (الخوف) عند (كافكا) هي محور أعماله، فهو خائف من (الأب) و(المدرسة) و(المجتمع)، و(الأصدقاء)، و(الزواج)، و(الخطيئة)، و(المرض)، و(الموت)... إلى آخر القائمة. ونص (رسالة إلى الوالد) يُقرأ على أكثر من مستوى؛ ومن حقّ النقاد أن يروا فيه مستويات عديدة، فمنهم من يضعه في مستواه الواقعي البين، أي مستوى علاقة الابن (المسحوق) مع والده (الظالم)، وجرأة الابن (المتأخرة جداً) في مصارحة الأب بأنه قاس، يضغط على أنفاسه في كل صغيرة وكبيرة، وعندني أن الإقرار بهذا المستوى يجعل نص (رسالة إلى الوالد) دون أهمية لأن الأبناء المظلومين (ليس في أوروبا وإنما في جميع بلدان العالم تقريباً) من قبل آبائهم كثيرون إذ أن ظلال هذا الظلم قد تصيبهم هنا أكثر أو هناك أقل، ولكن الإصابة في الحالين واقعة، ولعل الابن الشرقي يشعر بمثل هذا الظلم الأبوي الطاحن أكثر من غيره، وهذا أمر معروف ومدرك، بل يكاد يكون أساساً في العلاقة الرابطة ما بين الابن والأب، ولهذا فإن نص (كافكا) المعنون بـ (رسالة إلى الوالد) لا يقدم جديداً إذا ما أردنا فهمه على صعيد المستوى الواقعي وحسب. أما تقليب هذا النص على وجوه عديدة، وفهمه على مستويات أخرى فهو يوصلنا إلى تلمس الحقائق الآتية:

الحقيقة الأولى: الأب تاجر، يريد أن يفكّ انغلاق الغيتو (كما يريد كافكا الابن تماماً)، وذلك من أجل الاندماج في المجتمع الأوربي (وهذه نزعة يهودية كان وراءها مناصرون يهود كثيرون، أما (كافكا الابن) فهو يريد فكّ مغالبيق الغيتو اليهودي أيضاً، ولكن من أجل الانطلاق نحو (أرض الميعاد) المحلومة لاسيما وأن كتاب هرتزل (الدولة اليهودية) كان قد شاع انتشاره وتداوله وتأثيره، وقد كانت رؤية (كافكا - الابن) وثقافته في حالة تقدم وتفوق على رؤية كافكا الأب وثقافته بعدما عد الأب ابنة مغالياً في يهوديته الجديدة، في حين اتهم الابن أباه بأنه مشدود إلى التعاليم اليهودية التي تلقاها في طفولته وحسب. وفي هذه مفارقة تبديها المقارنة بين أفكار جيل قديم وجيل جديد في مناخ يهودية واحدة.

الحقيقة الثانية: تشدّد النصّ (رسالة إلى الوالد) على توق كافكا الابن إلى الزواج من أجل أن يتحرر من (كماشة) ظلم الأب؛ أي لكي يصير نداً له وحرّاً بالمفهوم العام، لكن المؤسف أن المرأة